مقال | مترجم

التخطيط لمشروع تعلّم خدميّ عابر للمراحل الدراسيّة

يُحقّق الجمع بين طلّاب الصفّ الثانويّ وطلّاب رياض الأطفال في مشروع مجتمعيّ، فوائد متبادلة لكلّ منهما والمجتمع المحيط بهما.

تشاد هوفمان

غالبًا ما يركّز طلّاب الصفّ الثانويّ على التقدّم الدراسيّ فقط، ونادرًا ما يتأمّلون في سنواتهم الدراسيّة السابقة. في المقابل، لا يزال عديد من الطلّاب الأصغر سنًّا لا يفهمون تمامًا أنّ المدرسة تمثّل المساحة التي تتشكّل فيها الروابط المجتمعيّة.

لكن حينما يُجمع بين الفئتين العمريّتين، يمكن أن يحدث شيء أشبه بالسحر.

عندما قمنا بجمع طلّاب الصفّ الحادي عشر مع طلّاب رياض الأطفال في مشروع خدميّ، بدأ الحماس يملأ المكان منذ لحظة دخولهم الغرفة ذاتها. وكان ذلك مثالًا رائعًا على كيفيّة توطيد العلاقات بين الطلّاب من مختلف الأعمار بسرعة، عندما توفّر المدارس فرصًا مدروسة للعمل معًا.

تُجسّد مثل هذه التجارب قوّة التعلّم بين الأعمار المختلفة، إذ يتعاون الطلّاب الأكبر والأصغر سنًّا بطرائق منظّمة، تعود بالنفع على كلا المجموعتين. عند تطبيق هذه الشراكات بعناية، يمكن أن تساعد الطلّاب الأكبر سنًّا في تنمية مهارات القيادة والتعاطف والشعور بالمسؤوليّة، بينما يكتسب الطلّاب الأصغر سنًّا ثقة اجتماعيّة وعاطفيّة، وشعورًا أعمق بالانتماء إلى مجتمع المدرسة.

إثراء تجربة التعلّم بين مختلف الأعمار في مدرستك

بصفتنا مدرسة تمتدّ من الروضة وحتّى الصفّ الثاني عشر، كنّا نتمتّع بفرص وفيرة للتفاعل بين مختلف الأعمار، وكلّ ما

احتجنا إليه كان المبادرة. بإمكان المدارس الأخرى – حتّى وإن لم تكن تضمّ هذه المراحل جميعها – تحقيق الهدف ذاته بالشراكة مع مدارس مماثلة في المجتمع المحلّيّ.

تمثّل مشروعنا في جمع تبرّعات لصالح مركز خدمة مجتمعيّة في حيّنا. خطّطنا لجمع التبرّعات لمدّة أسبوعين، ثمّ فرزها، وبعدها تنظيم فعّاليّة لتعبئتها، بحيث نجمع طلّاب الروضة وطلّاب الصفّ الثانويّ. وقد تخلّى طلّاب الصفّ الثانويّ عن امتياز الخروج لتناول الغداء خارج المدرسة، حتّى يتمكّنوا من المشاركة جنبًا إلى جنب مع "زملائهم من الروضة".

وأفضل خطوة قمت بها على الإطلاق كانت البدء بتعاون استراتيجيّ بين المعلّمين. بدأت العمليّة برسالة بريد إلكترونيّ بسيطة، وكان اختيار مرحلة الروضة موفّقًا، لأنّ لديهم مشروعًا مقرّرًا مسبقًا، ولأنّني أردت أن يشعر طلّابي بتحدّي تجاوز حدود قدراتهم، وأطفال الروضة لديهم قدرة خاصّة على تحقيق ذلك! ومن ثمّ، انصبّ التركيز على تحديد أهداف مشتركة (التعلّم الخدميّ، والتوجيه، وثقافة المدرسة)، والحصول على موافقة الإدارة، وتنسيق الجداول الزمنيّة بين المراحل الدراسيّة طوال مدّة المشروع. وكانت الأدوات والعمليّات التي ساعدتنا أكثر من غيرها تضمّ وثيقة تخطيط مشتركة، وتواصلًا منسّقًا مع أولياء الأمور، وجدولًا زمنيًّا واضحًا. وقد استقرّ بنا الأمر على جدول زمنيّ قصير نسبيًّا، يقارب أسبوعين. وبحلول نهاية الأسبوع الأوّل، بدا مدخل صفّي المدرسيّ مزدحمًا وكأنّه متجر بقالة، وحينها أدركت أنّ المشروع قد ترسّخ في حياة طلّابي.

تصميم تفاعل بين مختلف الأعمار

أثناء مناقشتنا تفاصيل المشروع، أدركتُ أنّني بحاجة إلى إعداد الطلّاب الأكبر سنًّا لأدوار التوجيه والإرشاد. كان من المهمّ أن يفهموا أنّ أطفال الروضة سيراقبونهم عن كثب ويتّخذونهم قدوة لهم، متسائلين عمّا سيكون عليه حالهم يومًا ما.

لذا، قبل لقاء طلّاب الصفّ الحادي عشر بالطلّاب الأصغر، عقدتُ معهم جلسات صفّيّة قصيرة لمناقشة القيادة والمسؤوليّة، وكيفيّة تقديم القدوة الحسنة. وتدرّبنا على كيفيّة التفاعل مع الطلّاب الأصغر سنًّا، وناقشنا توقّعات الزيارات الصفّيّة. وبالمثل، تحدّث معلّمو الروضة مع طلّابهم عن "أصدقائهم من الصفّ الثانويّ"، وعن زيارتهم الصفّيّة المرتقبة، وكيف سنعمل معًا لإنجاز مشروعنا الخدميّ.

الزيارة الصفّيّة

تضمّنت الزيارة الأولى لقاء طلّاب الصفّ الثانويّ مع طلّاب الروضة، وكتابة بطاقات لإرفاقها مع حزم الرعاية. وعلى الرغم من أنّ كلّ صفّ كان يجمع الأغراض بشكل منفصل، فقد خطّطنا في هذا النشاط لأن يكون فرصة لالتقاء الطلّاب معًا قبل يوم فعّاليّة التعبئة.

قسّمنا الطلّاب إلى مجموعات ثنائيّة، بحيث تولّى الطلّاب الأكبر سنًّا توجيه النشاط، بينما تبعهم الطلّاب الأصغر. وقد أتاح هذا الأسلوب للطلّاب فرصة التعارف والتعاون بسلاسة. كما استعرض طلّاب الروضة مقاعدهم، وتحدّثوا عن أعمالهم الفنّيّة.

كان لبساطة النشاط وهيكليّته وملاءمته لمراحل نمو الطلّاب دور كبير في نجاحه، وكذلك التخطيط المسبق لتقسيم الطلّاب إلى مجموعات ثنائيّة. استخدمنا نظام التناوب الصفّيّ المنظّم، لتمكين الطلّاب من الاختلاط والتفاعل قدر الإمكان.

فعّاليّة التعبئة

في يوم فعّاليّة التعبئة، دخل طلّاب الروضة بحماس بحثًا عن أصدقائهم من الصفّ الثانويّ، وكان طلّاب الصفّ الثانويّ متحمّسين بالقدر ذاته للعثور على رفاقهم من الروضة. صمّمنا الفعّاليّة بحيث يعمل كلّ ثنائيّ معًا، لتجهيز حقائب التبرّعات في قاعة واسعة مزوّدة بمحطّة تعبئة مخصّصة للتبرّعات المصنّفة مسبقًا.

أدخلنا طلّاب الروضة على فترات متتابعة لتجنّب ازدحام القاعة، وقدّمنا إليهم تعليمات واضحة ومرئيّة. كما حرصنا على توزيع الأدوار ليتمكّن الطلّاب من التعاون بسلاسة، وأتحنا وقتًا

للحديث عن هدف العمل التطوّعيّ. في نهاية الفعّاليّة، طلبتُ إلى طلّاب الصفّ الثانويّ نقل التبرّعات إلى موقع معتمد مسبقًا في الحرم المدرسيّ، تمهيدًا لتسليمها إلى المنظّمة المجتمعيّة.

بناء ثقافة القيادة بين الأعمار

مراقبة عمليّة التعلّم بين الأعمار أظهرت لي كيف يمكن للتعاون البسيط بين المراحل الدراسيّة المختلفة أن يعزّز ثقافة المدرسة، وأن يبني مهارات القيادة لدى الطلّاب الأكبر سنًّا، وأن يخلق تجارب تعليميّة ذات معنى للطلّاب الأصغر سنًّا. سأظلّ أتذكّر دائمًا حديث أطفال الروضة عن حماسهم لأن يصبحوا مثل أصدقائهم من طلّاب الصفّ الثانويّ يومًا ما، ليتمكّنوا – هم أيضًا – من تنفيذ المشروع مع أطفال أصغر. حتّى طلّاب الصفّ الثانويّ كانوا متحمّسين، ويتطلّعون إلى فرصة تنفيذ مشروع مماثل في العام الدراسيّ القادم. لم أكن أتوقّع الأثر الاجتماعيّ والعاطفيّ الكبير للتعلّم بين الأعمار المختلفة، لكنّ هذا كان من أبرز الأمور وضوحًا بعد انتهاء المشروع.

نصيحتي للمعلّمين البدء بخطوات صغيرة، عن طريق بناء شراكات داخل مدرستهم أو مع مدرسة مجاورة. حدّدوا مشروعًا أو تجربة تعليميّة مناسبة لكلا الفئتين العمريّتين، وفكّروا في سبب رغبتكم في تفاعل هاتين الفئتين. كما ينبغي التخطيط الاستراتيجيّ في اختيار الفترة الزمنيّة الأنسب من العام الدراسيّ لتنفيذ المشروع. في تجربتنا، استغرق المشروع بأكمله، من الفكرة إلى التقييم النهائيّ، خمسة أسابيع فقط.

وأخيرًا، حافظوا على التواصل الفعّال، وشاركوا أكثر من طرف في عمليّة التخطيط، ثمّ راقبوا كيف تتشكّل روح الجماعة بين الطلّاب أثناء عملهم وتعلّمهم معًا.

Originally published (April 27, 2026) on Edutopia.org. [Planning a Cross-Grade Service Learning Project] was translated with the permission of Edutopia. While this translation has been prepared with the consent of Edutopia, it has not been approved by Edutopia and may therefore differ from the authentic text. In cases of doubt the authentic text should be consulted and will prevail in the event of conflict.